الانهيار الحضاري في المجتمع المسلم وأسبابه

ا.د. أنس عصام اسماعيل
مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد
Draa6864@yahoo.com

تـاريخ النشر : ٢٠٢٢/٩/٣٠

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٢/١/٥ **تاريخ القبول: ٢٠٢٢/٣/٢٧**

DOI: 10.54721/jrashc.19.3.799

الملخص:

من خلال نظرة سريعة لتاريخ امتنا المجيد وإلى واقعنا المعاصر، نجد الفرق واضحاً بين ما كنا عليه وما صرنا إليه، وهذا ما أسميته بالانهيار الحضاري الذي حلّ بأمتنا الإسلامية، وهذا الانهيار له مظاهر مشاهدة وملموسة ومعلومة وله أسباب أدت إليه، لذلك تناولت في هذا البحث أهم مظاهر الانهيار الحضاري التي تعاني منها الأمة منذ سقوط الخلافة الإسلامية وإلى يومنا هذا، ومن ثم دراسة أسباب هذا الانهيار على مدى تاريخ أمتنا الإسلامية، لتكون الصورة واضحة لمن أراد أن يعلم لماذا وصلنا إلى هذا الحال، ولمن أراد أن يربط الأسباب بالمقدمات ومن ثم بالنتائج، والأسباب المؤدية لهذا الانهيار لم تأت دفعة واحدة، وإنما جاءت على مراحل ممتدة منذ القرن الأول وإلى اليوم، حيث أن عوامل الهدم في جسم الأمة تنشأ منذ نشأتها وتسير جنبا إلى جنب مع عوامل البناء حتى تتغلب عليها وتؤدي بها إلى الهلاك، وأمة الإسلام أمة مرحومة قد جعل الله ﷻ فيها من عوامل البقاء ما يكفيها في الكتاب والسنة، ومتى ما عادت لهما واعتمدت عليهما في منهاجها عادت لها الحياة والقوة والغلبة، ولذلك كان موضوعنا هذا لمعرفة اسباب الانهيار لتلافيها مستقبلا.

كلمات مفتاحية: أسباب، انهيار، حضارة.

Civilization collapse in Muslim society and its causes

Prof.Dr. Anas Essam Ismaiel
Center of revival heritage/university of Baghdad

Abstract:

By taking a quick look at the glory history of our nation and the current reality of it, we find that the difference is clear between how we used to be and what we have become. This is what I call the regression of civilization that happened to our Muslim nation. Clues of this regression can be seen, witnessed, and recognized clearly, as well as the reasons that led to it. Therefore, in this paper, I deal with the main **clues** of the regression of civilization that our nation has suffered since the collapse of the Islamic Caliphate and up to this day. Then I study the reasons that led to this regression throughout the history of our Muslim nation. So that the picture will be clear for whoever wants to know why we have reached this status now and for whoever wants to link the reasons with the beginnings and then the results.

The reasons that led to this regression did not come all at once, but they occurred in different times from the first century AH and up to this day. The factors that led to the destruction in the structure of the Muslim nation appeared at the very beginning of the nation's emergence and it went side by side with the factors of development until they overcome them and lead the nation to the destruction.

The Muslim nation is a mercified nation. Allah has put in it enough factors for survival through the book (Quran) and the Sunnah. And whenever we return to them and depend on them in our laws, the life, power and triumph will be ours. Hence the topic of this paper is to know the reasons of the regression and to avoid them.

Key words: reasons, collapse, civilization

المقدمة :

يمكننا تقسيم الحضارة الإسلامية على صفحتين :

الصفحة الأولى: بدأت منذ قيام الدولة الإسلامية في العام الأول الهجري حتى سقوط الخلافة العثمانية، إذ كان سقوط الخلافة هو نهاية المطاف الذي يمثل ذهاب الشوكة والسلطان.

والصفحة الثانية: فهي إعادة البناء الذي بدأ منذ عقود – مع بداية الصحوة الإسلامية المعاصرة– لإعادة الحضارة الإسلامية إلى مكانها الطبيعي، وليأخذ المسلمون حقوقهم المشروعة، لقد انتهت الصفحة الأولى بذهاب سلطان المسلمين ولكن بقيت المادة الأولية للإسلام التي تتمثل في الكتاب والسنة وما ينتج عنهما من الفكر والفقه والتفسير الإسلامي وكل مادة الإسلام وعلومه.

وليس بوسعنا أن نتناول جميع مظاهر الانهيار الحضاري، إذ أنها كثيرة ومتنوعة وربما تحتاج الى دراسة مستقلة، لذلك اردت أن أتناول بعض هذه المظاهر التي تمثل الخطوط العريضة للانهيار الحضاري، وأبرز أسباب هذا الانهيار الذي نعاني منه اليوم.

المبحث الأول: عناصر البحث ومفاهيمه

أولا: عناصر البحث:

مشكلة البحث:

مما لاشك فيه أن أمتنا الإسلامية اليوم في حال من التردي والضياع الخطير وهذا التردي والانهيار لم يكن في جانب واحد من جوانب الحياة الانسانية العامة وإنما شمل جوانب كبيرة، منها العقدية والأخلاقية والادارية التنظيمية .....، وهذا الواقع هو أسوأ ما مر به المسلمون في تاريخهم كله، ولا نحتاج الى جهد كبير في بيان أن أوضاع المسلمين من السوء بحيث تجعلهم أسوأ من الجاهلية المحيطة بهم من حيث العقيدة والأخلاق ولاسيما في الجوانب الادارية والتنظيمية، حتى صار بعض المسلمين ينظرون الى الحضارة الغربية بإعجاب كبير، فإلى جانب التخلف الكبير في كل جوانب الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والمادية والفكرية والخلقية، يوجد الضعف المهين لا أمام (القوى العالمية) وحدها بل أمام أصغر القوى وأضعفها في الدويلات الآسيوية والافريقية المتخلفة في ذاتها، الضعيفة في كيانها، ولكنها تستأسد على المسلمين فتقيم لهم المذابح بين الحين والآخر وتجتاح ارضهم وتخرب ديارهم، وتنتهك أعراضهم وكأنهم لقمة سائغة لكل معتد اثيم، والى جانب هذا وذاك، الضياع الفكري والروحي الذي جعل الأمة الإسلامية –لأول مرة في

تاريخها– تنظر الى الجاهلية على أنها افضل منها وتنظر الى الإسلام على أنه رجعية وتخلف ينبغي الانسلاخ عنه واتباع الجاهلية[١].

١- **أهمية البحث:** تكمن أهمية البحث في ضرورة فهم الواقع الذي نعيشه والخراب الذي نعانيه اليوم، فلا بد لنا من معرفة مظاهر هذا الانهيار بشكل اجمالي أو تفصيلي، ومن حيث العموم فإن هذا الانهيار لم يأت مرة واحدة وإنما حصل عبر مرحلة طويلة من الانحرافات التي بدأت جزئية في بداية الامر، حتى استفحل المرض وتحول الى انحرافات خطيرة، وكلما ابتعدت الأمة الإسلامية عن دينها ومنهجها اتسعت زاوية الانحراف، حتى وصلنا الى ما وصلنا اليه، وكما هو معلوم فإن الانهيار الحضاري قد شمل مظاهر الحياة الانسانية جميعها للمسلمين إلا أنني سأقتصر على بعض هذه المظاهر التي نعدها أساسية أو هي الخطوط العريضة لمظاهر الانهيار الحضاري، ومن ثُم معرفة أسباب هذا الانهيار لنستطيع معالجة الواقع الذي نعيشه اليوم، فالنظر والفهم هما أول خطوات المعالجة.

٢- **أهداف البحث:** يهدف البحث إلى تسليط الضوء على أهم مظاهر الانهيار الحضاري التي تعاني منها أمتنا الاسلامية اليوم، ومحاولة فهم الأسباب المؤدية إليها، ومعاول الهدم التي عملت على تهديم أركان الحضارة الاسلامية سواءً الداخلية منها أو الخارجية، ومن ثم فهم الاسباب التي أدت إلى هذا الانهيار.

ثانيا: مفاهيم البحث:

١- **أسباب:** (السَّبَبُ الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره)[٢]، و(والسَّبَبُ كلُّ شيءٍ يُتَوَصَّلُ به إلى غيره وفي نُسْخةٍ كلُّ شيءٍ يُتَوَسَّل به إلى شيءٍ غيرِه وقد تَسَبَّبَ إليه والجمعُ أَسْبابٌ وكلُّ شيءٍ يُتَوصّلُ به إلى الشيءِ فهو سَبَبٌ وجَعَلْتُ فُلاناً لي سَبَباً إلى فُلانٍ في حاجَتي وَوَدَجاً أَي وُصْلَة وذَريعَة قال الأَزهري وتَسَبُّبُ مالِ الفَيءِ أُخِذَ من هذا لأَنَّ المُسَبَّبَ عليه المالُ جُعِلَ سَبَباً لوُصول المال إلى مَن وَجَبَ له من أَهل الفَيءِ وقوله تعالى وتَقَطَّعَتْ بهمُ الأَسْبابُ قال ابن عباس المودّةُ وقال مجاهدٌ تواصُلُهم في الدنيا وقال أَبو زيد الأَسبابُ المنازلُ وقيل المودّةُ قال الشاعر وتقَطَّعَتْ أَسبابُها ورِمامُها فيه الوجهان مَعاً المودة والمنازِلُ والله عز وجل مُسَبِّبُ الأَسْبابِ ومنه التَّسْبِيبُ)[٣].

٢- **انهيار:** وضَرَبَه فَهارَه وهَوَّره إذا صَرَعَهُ. وهارَ البناءَ هَوْراً: هَدَمَه. وَهَارَ البناءُ والجُرْفُ يَهُورُ هَوْراً وهُؤُوراً، فَهُوَ هائِرٌ وهارٍ وتَهَوَّر وتَهَيَّر، الأَخيرة عَلَى الْمُعَاقَبَةِ، وَقَدْ يَكُونُ تَفَيْعَل، كُلُّه: تَهَدَّمَ، وَقِيلَ: انْصَدَعَ مِنْ خَلْفه وَهُوَ ثَابِتٌ بَعْدُ فِي

مَكَانِهِ، فإذا سَقَطَ فَقَدِ انْهار وتَهَوَّر، يُقَالُ: هارَ البناءُ يَهُورُ وتَهَوَّر إذا سَقَطَ، قَالَ ابْنُ الأَعرابي: الِانْهِيَارُ مَوْضِعُ لِينٍ يَنْهار، سَمَّاهُ بِالْمَصْدَرِ وَهَكَذَا عَبَّرَ عَنْهُ، وَكُلُّ مَا سَقَطَ مِنْ أَعلى جُرُفٍ أَو شَفِيرِ رَكِيَّةٍ فِي أَسفلها، فَقَدْ تَهَوَّرَ وتَدَهْوَرَ، الهارُ السَّاقِطُ الضَّعِيفُ. يُقَالُ: هُوَ هارٌ وهارٍ وهائِرٌ، فأَما هائِرٌ فَهُوَ الأَصل مَنْ هارَ يَهُورُ، وأَما هارٌ بِالرَّفْعِ فَعَلَى حَذْفِ الْهَمْزَةِ، وأَما هارٍ بِالْجَرِّ فَعَلَى نَقْلِ الْهَمْزَةِ إِلى بَعْدِ الرَّاءِ، كَمَا قَالُوا فِي شائِك السِّلَاحِ: شَاكِ السِّلَاحِ ثُمَّ عُمِلَ بِهِ مَا عُمِلَ بِالْمَنْقُوصِ نَحْوَ قَاضٍ وَدَاعٍ، وَيُرْوَى هَارًا، بِالتَّشْدِيدِ. وتَهَوَّر الشتاءُ: ذَهَبَ أَشده وأَكثره وَانْكَسَرَ بَرْدُه. وتَهَوَّر الليلُ: ذَهَبَ، وَقِيلَ: تَهَوَّر اللَّيْلُ وَلَّى أَكثره وَانْكَسَرَ ظَلَامُهُ. وَيُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى بِعَيْنِهِ: تَوَهَّر اللَّيْلُ وَالشِّتَاءُ، وتَوَهَّر اللَّيْلُ إِذا تَهَوَّر، وَيُقَالُ: هُرْتُ الْقَوْمَ أَهُورُهُمْ هَوْراً إِذا قَتَلْتَهُمْ وكَبَبْتَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ كَمَا يَنْهار الجُرُفُ[٤].

١- **حضارة:** (حالة الرخاء و الازدهار والرفاهية التي يدل عليها ثراء الزينة والملابس وجمال الحدائق والعمارات وفخامة المآدب إلى غير ذلك)[٥]، ([الحضارة] الْإِقَامَة فِي الْحَضَر قَالَ الْقطَامِي: [وَمن تكن الحضارة أَعْجَبته ... فَأَي رجال بادية تَرَانَا] وضد البداوة وَهِي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني وَمظَاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي فِي الْحَضَر، و [الْحَضَر] المدن والقرى والريف وَمن النَّاس سَاكن الْحَضَر وَمن لَا يصلح للسَّفر)[٦].

المبحث الثاني: مظاهر الانهيار الحضاري في المجتمع المسلم

المطلب الأول: الخلل في فهم العقيدة .

قد صاغ القرآن الكريم وعلى مدى ثلاثة عشر عاماً عقيدة الصحابة الكرام - رضي الله ﷻعنهم– ومدى اهتمام القرآن الكريم بهذا الجانب الذي يمثل قاعدة البناء للإنسان المسلم، وبغيرها لن يتم البناء بل لا ينشأ اصلاً، وإذا نظرنا الى العقيدة الإسلامية في تاريخها الطويل نجد أنها مرت بمراحل ثلاث، فالجيل الأول من أجيال العقيدة الإسلامية كان جيل الصياغة القرآنية، والجيل الثاني من أجيال العقيدة الإسلامية كان جيل الانتصار لها من هجمات الفلسفات والديانات المعادية، مع إدخال الكثير من مصطلحات الفلاسفة عليها الذي نشأت فيه المدارس الكلامية وظهر علم الكلام وسيطر على ساحة العلم الإسلامي في ذلك الوقت، وكان هدف تلك المدارس

عموماً هو الانتصار لعقائد الإسلام إلا أنها تأثرت بتلك الفلسفات، وأما الجيل الثالث فهو جيل الخمود والجمود وتقديس الموجود من كتب العقائد السابقة التي كانت تعبر عن مرحلة من مراحل الصراع مع الحضارات الاجنبية وهنا كانت الطامة الكبرى، عندما توقف العقل المسلم عن الابداع تجسيداً لقول القائل – ليس بالإمكان أبدع مما كان– فانحسر الابداع وانتهى وصارت العقائد الإسلامية عبارة عن أحاجي والغاز معقدة غاية في التعقيد يترنم بها طلبة العلم دون تحويلها الى واقع ملموس وهم يحسبون أنهم بذلك سيعيدون الإسلام الى المسلمين والمسلمين الى الإسلام، وهم لا يعلمون أنهم صاروا يحدثون الخاصة، ولا تأثير لهم على عامة المسلمين، فصار هؤلاء بواد والمسلمون بواد اخر، لذلك لم يستطع علم الكلام في القرون الاخيرة أن يؤدي أثره الحاسم في الصراع الفكري مع الفلسفات المادية في الغرب من جهة – إذا هو يخاطبهم بلغة القرون الماضية وليس بلغة ومنطق العصر الحاضر– عصر العلم والتكنولوجيا المتطورة الحديثة، ومن جهة أُخرى فقد حولوا التوحيد القرآني الفطري الى عمليات وقضايا منطقية مركبة واحاجي عقلية غاية في التعقيد[٧]

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن الدراسات الشرعية في مختلف البلاد الإسلامية تدرس العقيدة على ذلك النمط القديم، وكأنها دراسة مقدسة، وهي في الوقت نفسه لا تمت الى الزمن الحاضر بصلة وليس لها القابلية على انتشال الفرد المسلم من واقعه الإسلامي لذلك خفت تأثير العقيدة الإسلامية على الفرد المسلم.

المطلب الثاني: الانـهيار الأخلاقي.

إن من أوضح مظاهر الانهيار الحضاري لأمة الإسلام بل لأمم الأرض جميعاً هو الانهيار الأخلاقي، ومعلوم أن الامم المتقدمة تكنولوجياً يعد عقلاؤها الانهيار الأخلاقي نذيراً بالدمار والهلاك وذهاب الأمة.

ولو نظرنا على سبيل المثال الى أعظم الدول قوة الآن وهي الولايات المتحدة الأمريكية سنجد هذا واضحاً في التقارير التي تنشر عن معدلات الجريمة المتزايدة يوميا وما يجري على الأمم الأخرى جرى على أمة الإسلام حيث وصل التردي والانهيار الأخلاقي الذروة في القرون الاخيرة ومما زاد في الانهيار الأخلاقي هو اجهزة الاعلام المنفتح وغير المقنن التي سيطرت على بلاد الإسلام لمدة طويلة[٨] وبما استقر في نفوس المثقفين ثقافة غربية من أن الأخلاق المنحلة أو الانحلال الأخلاقي هو حرية شخصية، لأن غالبية البعثات التي ترسل الى الخارج شرقاً أو غرباً كانوا يعودون خالين تقريباً من المادة العلمية التي ذهبوا من أجلها وممتلئين بثقافة وأخلاق تلك الدول بتسهيل وتأييد منها[٩] وهؤلاء كان لهم أثر كبير في انتشار تلك الأخلاق زيادة على خفوت صوت الإيمان في نفوس الناس وقلوبهم، لقد بلغ الانهيار الأخلاقي حداً بعيداً إذ شمل أنواع الأخلاق جميعها مُذ انفصل في عقول ونفوس الناس الجانب الأخلاقي عن الجانب العقائدي فنجد زيادة الجرائم الأخلاقية كالزنى والشذوذ انحطاطاً في المستوى الأخلاقي العام كالتبرج السافر والغناء الفاجر والأدب الماجن، وعقوق الوالدين والغش والكذب وإيذاء الجار والطعن بأعراض المسلمين وما الى ذلك، ونظرة سريعة الى برامج تلفازية خارجية أو غيرها تؤكد لنا هذا الأمر، وقد بلغ الحد في بعض من أبناء الإسلام (من الصورة الأولى) أنهم صاروا يسابقون الكافر في فسقه وفجوره فأسقطوا عنهم مقومات الآدمية، وصاروا صورة طبق الأصل من الشباب الغربي الضائع في متاهات الرذيلة الغارق الى ذقنه في أوحال الشذوذ والإدمان[١٠] وهذا مما لاشك فيه نوع من الانهيار كبير.

ومازالت الأجهزة العلمانية تعمل بكل ما تستطيع لفرض الانحلال الأخلاقي بشتى أنواع الوسائل الاعلامية وغيرها حتى وصل الامر في بعض الدول أنها منعت الحجاب الإسلامي للمدرسات باعتباره دليلاً على التطرف[١١] كما فعل ذلك من قبل

(كمال أتاتورك الذي أطاح بالخلافة وأراد أن يقطع ما بين الأتراك وما بين إسلامهم، فمنع الأذان باللغة العربية، وكتب اللغة التركية بالحروف اللاتينية، وأمر بخلع الحجاب وذبح عدداً من علماء المسلمين)[١٢] لقد تظافرت جهود العلمانيين والمستعمرين زيادة على الجهل الكبير بهذا الدين قبل وبعد سقوط الخلافة الإسلامية في وصول المجتمع المسلم في بلاده الى الحال الذي وصل اليه من الانهيار الأخلاقي الذي لم يسلم منه الا القليل، لقد بدأ هذا الانهيار مذ انفصل في عقول ونفوس الناس الجانب الأخلاقي عن الجانب العقائدي، بينما نجد الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية قرنت بين الجانب الأخلاقي وبين الإيمان بالله ﷻ[١٣].

المطلب الثالث: عدم امتلاك القوة.

يبدو واضحاً من عالمنا المعاصر أن الدول الإسلامية لا تملك القوة وبأي شكل من أشكالها سواءً العسكرية أم العلمية أم الاقتصادية أم الصناعية، وما نجده في بعض الدول من قوة عسكرية فهي غالباً ما تكون مستوردة من الدول الصناعية الكبرى، مع أنها تملك أسباب القوة من الكنوز الموجودة في باطن الارض من نفط ومعادن أخرى[١٤] ومن أرض خصبة ومياه، تصلح لأن تكون قوة اقتصادية هائلة لو استغلت بشكل صحيح (ففي الوطن العربي وحده مئة مليون فدان لم تزرع بعد)[١٥] ولو نظرنا الى الدول الإسلامية نجد أن معظم ثروات العالم الطبيعية بأيديهم لكنها تخرج من أيديهم الى أيدي أعدائهم بشكل أو بآخر سواءً ما كان برضاها أو بتآمر الأعداء عليها.

ومع ذلك فهي أمة مغلوبة تشتري من عدوها قوت يومها وقلمها الذي تكتب فيه، فليست عندها صناعات إلا الخفيفة منها التي لا تشكل وزناً في ميزان القوى العالمية، بينما الدول الصناعية الكبرى هي التي تتحكم بمصائر الدول الضعيفة أو العالم الثالث وغالبيتهم من الدول الإسلامية زيادة على الجوع والفقر الذي يجتاح الكثير من شعوب هذه الدول.

وإذا تتبعنا الصفقات العسكرية بين الدول الصناعية الكبرى والدول الإسلامية نجد وبشكل واضح أن الدول الصناعية الكبرى لا تبيع لهذه الدول إلا الأجيال القديمة أو الكميات القليلة بحيث لا تشكل خطراً على الدولة الصهيونية أولاً، ولا تأثر في ميزان القوى في المنطقة ثانيا ً، وبأسعار هائلة ثالثا[١٦]، وقس على ذلك بيع المصانع أو البرامج العلمية لهذه الدول، وهذا يدل على أن الغرب متفق ضمناً على بقاء هذه الدول تستجدي منه المعونة الاقتصادية أولا وشراء معظم الصناعات منه ثانياً، بينما لو استغلت هذه الدول ما بأيديها من موارد لقلبت الأُمور رأساً على عقب، ولامتلكت القوة الكبيرة مما يجعلها في مصاف الدول القوية سواء منها الصناعية أو العسكرية، ومن الواضح جداً أن عالمنا المعاصر تتحكم فيه القوى العالمية فكان ضعف الدول الإسلامية أمام تلك القوى مظهراً من مظاهر الانهيار الحضاري، والدليل على ذلك ما نراه يومياَ من سياسة الدول القوية تجاه الدول الضعيفة باسم الأُمم المتحدة يوماً، وباسم نظام العولمة ثانيا، وباسم حقوق الانسان ثالثا, وهكذا ... وكلها تدور حول قضية واحدة وهي سيطرة الدول القوية على الدول الضعيفة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وإعلاميا, إذ (أن سيطرة أوربا الثقافية لا تزال تحتل المركز الأول في حياتنا العقلية وثقافتنا الوطنية ومناهج تفكيرنا)[١٧]

المطلب الرابع: تفرق الأمة.

ومن مظاهر الانهيار الحضاري أن الأمة الواحدة التي يجمعها دين واحد وكتاب واحد لا تتفق فيما بينها وهي اشلاء متناثرة لجسم واحد، والخلاف بين الأمة الواحدة غالبا ما يكون صغيرا في بداية أمره ثم يتسع ليشمل جوانب أخرى لتدخل الهوى وحب الأثرة فاختلاف العقول في تقويم حقيقة أو تقدير حكم لا خطر منه ما زال هو في دائرة اختلاف الآراء، لكن عندما يتوسع الخلاف لتعلق الهوى فيه يتحول من اختلاف في وجهات النظر الى اختلاف النفوس، والاصل في الخلاف أن لا يؤدي الى تفرقة

الأمة ولا الى الخصومة[١٨]، والأمة التي يكون بأسها بينها وتفشوا الخصومات بينها تنتحر قبل أن ينال منها عدوها[١٩] وقد وصلت الأمة الإسلامية الى مدى بعيد في الفرقة بينها، فهي في جانب انتشرت فيها الفرقة لتشمل كل طوائف الملة الواحدة كالاختلاف في فهم العقيدة الإسلامية أو الاختلاف في فهم الشريعة الإسلامية من فقه وعبادات ومعاملات وفي جانب آخر وصل الأمر بها أن تتقاتل فيما بينها، وقد تستعين بالكافر على بني جنسها وملتها[٢٠] وتفرق الأمة واضح بين فعلى الرغم من كل مؤهلات الوحدة بينها نجد أنها تمزقت شر ممزق يقتل بعضها بعضاً، ويتآمر بعضها على بعض، ويجوّع بعضها بعضا, ولا نجد بينها اي نوع من أنواع الوحدة الحقيقية إلا ما كان في بعض الأحيان من وحدة زائفة سرعان ما تتمزق، فالدول الاستعمارية تصر على بقائهم متفرقين أولاً، وعدم حصولهم على القوة والعزم الكافي لأن يتوحدوا فيما بينهم ويخرجون على تعاليم قادة وزعماء تلك الدول ثانياً، ولو نظرنا الى الصهاينة نجد أنهم تجمعوا من كل عرق وجنس تحت مظلة اليهودية العالمية ويجمعهم شعار واحد هو دولة إسرائيل الكبرى, فقد تجمعوا لتحقيق الهدف وتجانسوا فيما بينهم وليس لهم من مؤهلات هذا التجانس إلا دينهم المحرف، فما بالنا نحن ديننا واحد وهدفنا واحد, وقبلتنا واحدة وعدونا واحد, وتاريخنا واحد, إلا أننا ما عرفنا للوحدة طريقاً ولا للقوة مسلكاً.

وعلى مدى تاريخ أمة الإسلام نجد أنها ما توحدت إلا قويت وتمكنت من عدوها, وما تفرقت إلا ضعفت ونال منها عدوها، فكلما قامت لها دويلات متناثرة هنا وهناك نجدها تشرذمت وتناحرت فيما بينها, وصار عدوها يأكلها الواحدة تلو الاخرى، إن أي دولة من هذه الدول المتناثرة المتناحرة مهما أوتيت من قوة فإنها لا تصمد أمام الغرب المتحد.

ولو اجتمعت هذه الدول لصار لها من القوة العسكرية والاقتصادية ما الله ﷻ به عالم, ولما تمكن الأعداء منها.

ولكن فرح هذا بدويلته , وذلك بإمارته, وآخر بمملكته جعلهم يحرصون على المغانم الدنيوية, ويخشون أن تفوت مصالحهم الشخصية وامتيازاتهم العائلية، فضحوا بكرامة الأمة وعزتها وقوتها أمام مغريات الدنيا الفانية[٢١].

المطلب الخامس: إقصاء الشريعة الإسلامية.

ومن مظاهر الانهيار الحضاري إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم, وتهميش أثرها في الحياة، (لقد كانت هذه الشريعة تحكم في الدماء والاموال والاعراض وتحرس الحقوق الخاصة والعامة وتقرر الحدود في العلاقات المحلية والعالمية والمدهش أن الرومان يفخرون بقانونهم ويخلدون مبادئه ومواده، وما القانون الروماني إلى جانب الشرع الإسلامي؟ إنه كبئر آسنة الى جانب النيل أو الفرات أو كأكوام التراب الى جانب الجبال الشم، إن الفقه الإسلامي استبحر في حضارتنا واستوعب من مصالح الدنيا والدين ما يبهر ويعجب وقد كتب الفقهاء المسلمون الوفاً مؤلفة من المجلدات التي عمرت بالآراء الذكية والاجتهاد الحر، وظل هذا الفقه يحكم المسلمين وغيرهم بين الاطلسي والهادي حكماً راشداً كافياً مغنياً حتى دخل الاستعمار الحديث فاخذ ينفس عن حقده على الإسلام بمكر وخبث, فألغيت شرائع الحدود والقصاص, وعطلت المقررات الإسلامية في شتى القضايا الحساسة, وتركت الى حين قوانين الأسرة, وها قد بدأت بعض البلاد صيحات العملاء لتغيير أنصبة المواريث وتنصير بقية الصلات العائلية)[٢٢] وقد تسولت بعض دول السلام أنظمتها وقوانينها من دول الغرب وتنكرت لمبادئها وقيمها وتراثها ودينها، فبدل أن تعلم الدنيا أصول المدنية جلست هي تحت موائدهم تنتظر الفتات، إن تطبيق منهج الله ﷻ وشريعته هو الذي يحدد هوية الأمة وانتمائها الحقيقي، فالاستسلام لشريعة الله ﷻ هو – قبل كل شيء- الاعتراف بألوهيته وربوبيته وقوامته وسلطانه، ومعنى عدم الاستسلام لهذه الشريعة, واتخاذ شريعة غيرها في أية جزئية من جزئيات الحياة هو –قبل كل شيء– رفض الاعتراف بألوهية الله ﷻ وربوبيته وقوامته وسلطانه، فهي قضية كفر أو إيمان وجاهلية أو إسلام[٢٣] وثمة أمر آخر, فهل لبشر ما أن يدعي أن شريعته افضل أو تماثل شريعة الله ﷻ في أي زمان أو مكان, ثم بعد ذلك يدعي أنه مؤمن، كيف وهو يدعي أنه أعلم من الله, أو أنه ﷻ لا يعلم بما سيكون من أمر الناس، أو أن الله ﷻ شرع لزمان من دون الآخر، فلا تستقيم مع هذا دعوى الإيمان والإسلام، ومهما ادعى البشر تحقيق العدل في التشريع فهو يمثل تجربة لزمن محدود ويحمل قصور البشر وعجزه وجهله.

وهذا ما وقعت فيه أمة الإسلام في العصر الحاضر عندما أقصت شريعة الله ﷻ عن الحكم وادعت لنفسها حق التشريع حيناً وأعطت هذا الحق للغرب أحياناً أُخرى فحدث انفصام عجيب في تركيبة الأمة المسلمة فهي تدعي الإسلام والإيمان من جهة ومن جهة أُخرى تقرر لنفسها حق التشريع من دون الله ﷻ فصار حالها كمن أراد أن يجمع الكفر والإيمان في قلب واحد، وهي تعلم أنها سادت على العالم قروناً طويلة بهذه الشريعة الربانية، حتى إذا انهارت حضارتها, اتبعت كل ناعق يشرع لها بغير ما أنزل الله ﷻ، واتبعت السامري ليصنع لها كل يوم عجلاً ليعبدوه من دون الله على شكل ايديولوجية أو منهج أو فكر فتتبعه ولا تتبع دين اللهﷻ ولا شريعة الله, ومنهج الله ﷻ (والذي يشرع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الأُلوهية ويستخدم خصائصها، فهم عبيدهُ لا عبيد الله ﷻ, وهم في دينه لا في دين الله))[٢٤] ويحصل احياناً أن تطبق بعض الدول المسلمة جزءاً من الشريعة الإسلامية لحاجتها اليها, وتبقى التشريعات الأُخرى تخالف منهج الله ﷻ، فتكون حالة من الترقيع عجيبة, فكيف ينسجم ما أبدعه خالق الكون من التشريع مع ما أنتجته عقول البشر القاصرة العاجزة؟ وترك الشريعة الإسلامية من حيث هي كل أو جزء يعني العودة الى الجاهلية، (فالجاهلية ليست فترة تاريخية, إنما هي حالة توجد كلما وجدت مقوماتها في وضع أو نظام ...وهي في صميمها الرجوع بالحكم والتشريع الى أهواء البشر, لا إلى منهج الله وشريعته للحياة، ويستوي أن تكون هذه الاهواء أهواء فرد أو أهواء طبقة أو أهواء أمة, أو أهواء جيل كامل من الناس .. فكلها ما دامت لا ترجع الى شريعة الله .. أهواء)[٢٥]

المبحث الثاني: أسباب الانهيار الحضاري في المجتمع المسلم

تمهيد :

إن الانهيار الحضاري الذي وصلت اليه أُمتنا اليوم لم يكن وليد الصدفة ولم يأت مرة واحدة، وإنما تدرجت أسبابه لمدة طويله، فكان هذا الانهيار الذي نعانيه اليوم، وكما هو معلوم من سنة الله ﷻ في الأخذ بالأسباب هو نتيجة طبيعية للأسباب التي سنذكرها التي نستطيع أن نسميها (أسباب داخلية) أي هي نابعة من داخل المجتمع المسلم نفسه، وأما الأسباب الخارجية كالغزو العسكري والغزو الفكري وصراع الحضارات، فقد أوردت إشارات عنه في أثناء البحث، والأسباب الخارجية تابعة للأسباب الداخلية، فلولا وجود الضعف في أمة الإسلام بكل أنواعه لما سمحت لأعدائها بغزوها فكرياً أو عسكرياً أو اقتصاديا، لذلك أردت أن أوضح الخطوط العريضة للأسباب الداخلية.

المطلب الأول: استبداد الحكام ووراثية الحكم.

إن أول شرخ حدث في الحضارة الإسلامية هو تحول الحكم من الانتخاب الحر المباشر إلى الوراثية أو القيصرية بعد الخلفاء الراشدين باستثناء بعض الامراء العادلين عبر تاريخ الإسلام الذين ساروا على نهج سيد المرسلين محمدﷺ في الحكم، وقد احدث هذا الشرخ خللاً كبيراً في الأمة الإسلامية مازلنا نعاني منه حتى اليوم، إن وراثية الحكم تعني انتقال السلطة أو الخلافة أو الملك من الاب الى ابنه أو من الأخ الى أخيه، وهذا بطبيعة الحال يعني أَن الأمة الإسلامية ليس لها أثر في اختيار الخليفة، وهذا يؤدي الى أن صفات الخليفة قد تتوفر أولاًتتوفر في الابن أو الأخ الذي يتولى الخلافة بعد مورثه، وإذا نظرنا الى تاريخ الأمة الإسلامية نجد أن الخلفاء أو الأمراء أو الملوك لم يكونوا على مستوى واحد من العلم أو الكفاية الادارية أو الورع وتقوى الله ﷻ إذ أن هناك من كان شجاعاً كريماً عادلاً عالماً، وهناك من كان جباناً ظالماً منهمكاً في الملذات والشهوات، لا همَّ له الا الدنيا يجمع منها قدر استطاعته.

إذن لم تكن الأمة الإسلامية تختار الافضل والاصلح لقيادتها عن طريق الانتخاب الحر المباشر من دون إكراه أو تزييف، فكان أمرها يتبع وارث الحكم فإذا كان قوياً قويت الأمة بقوته، أو إذا كان عادلاً بين الناس استتب الامن بينهم أو إذا كان غير ذلك كأن يكون ظالماً فيفشو الظلم بين الناس أو إذا كان شجاعاً قاد الأمة في الفتوح الإسلامية وتصدى للمعتدين الغزاة، فالأمة لاشك تتبع قادتها فإذا كان حال القادة متذبذباً بين القوة والضعف فإن الأمة الإسلامية يتردد حالها بين القوة والضعف، فنجدها تتقوى في زمن وتضعف في آخر وهكذا .. (ملايين من البشر) مرهونة بشخص واحد، والنظام المرتبط به ومن يقرأ التاريخ يجد أنَّ من الخلفاء من أسرف في الملذات إسرافاً كبيراً ومنهم من كان شاباً صغير السن لا يقوى على ادارة الدولة زيادة على الصفات التي ذكرناها سابقاً[٢٦] وكتب التاريخ مليئة بذلك، ومن يطلع

عليها يرى أن أمة الإسلام غدت سفينة في مهب الريح وليس لها طريق واضح وهي بحسب من يملك أمرها إن كان صالحاً صلحت الأمة بصلاحه، وإن كان غير ذلك خرب البلاد واهلك العباد، وأكل أموال الناس بالباطل، فأنّى لأمة أن يستقيم أمرها وهي تتقاذفها الأمواج وليس لها قرار وكلما أصلح أحد الخلفاء شيئاً أفسده الآخرون (إذن لقد خرج حكم الخلافة النبوية العادلة الى ملك ودنيا وفخفخة ومظاهر رسمت حول الحاكم هالة من التعظيم والعبودية فدفعتهم الى الطغيان واستعانوا في ذلك ببطانة السوء والمنافقين والدجالين من أصحاب المصالح المتنوعة، فانقسم المجتمع الإسلامي الى فئتين، فئة الظالمين الطاغين تجمع إلى الحكام كبار المستفيدين من الأمراء والوزراء والقواد والتجار وفئة أُخرى تجمع المستضعفين المظلومين وهم الأكثرية الساحقة المسخرة)[٢٧] لقد كان استبداد الحكام نتيجة طبيعية لوراثة الحكم أو الانقلابات العسكرية أو عن طريق قتل الخليفة من قبل أحد المقربين إليه وكلها يجمعها أمر واحد وهو استلاب الحكم بغير حق[٢٨] فمن الطبيعي أن يستبدوا بالحكم ولا يتبعوا منهج الله ﷻ في الحكم بين الناس فيكون القتل والنفي والتعذيب واهانة الإنسان بصورة وحشية، وهذا ما جعل الحكام بواد والمحكومين بواد آخر.

إن الذي يغتصب الحكم ابتداءً ليس له أن يتبع حكم الله ﷻ بين الناس وكذلك نجد امراً آخر وهو خروج الكثير من الولاة – ولاة الأمصار– على الخليفة واستقلالهم عنه متبعين بذلك سنة الخليفة في الاستيلاء على الحكم بغير حق، وهكذا اعتداء نتج عن اعتداء وفوضى عمت النظام السياسي (على الرغم من تقدمها في مجال آخر) واستمرت الدولة الإسلامية بين الضعف والقوة والتجزئة والتوحد منذ بداية الدولة الأُموية حتى سقوط الخلافة العثمانية[٢٩] ونستطيع القول إن الوراثة في الحكم والاستبداد فيه وجهان لعملة واحدة وكتب التاريخ مليئة بذلك[٣٠] وكذلك كان صراع الولاة والحكام فيما بينهم إذ يصل الأمر في كثير من الأحيان الى القتال واستخدام

القوة العسكرية، فيموت آلاف البشر في سبيل أن يحصل هذا أو ذاك على مقاطعة أو ولاية يطمع فيها[٣١] على العكس تماماً مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الترهيب من طلب الإمارة إذ يقول لعبد الرحمن بن سمرة ﷺ :(يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا)[٣٢] وصار هم الولاة والحكام جمع اكبر قدر من الامتيازات والثروات لهم ولأفراد عوائلهم بغض النظر عن كون الوسيلة الموصلة الى هذه الامتيازات مشروعة أو غير مشروعة[٣٣] ولو تطلب ذلك سفك دماء آلاف البشر، وعندما يجمع الولاة والخلفاء الامتيازات لهم ولأفراد عوائلهم لاشك أنهم سيضعون الرجل المناسب في المكان غير المناسب فليس المهم عندهم أن يكون الرجل قادراً على إدارة الولاية أو الوزارة، وإنما صار الأصل عندهم مدى قرب هذا الرجل أو ذاك من الخليفة أو الملك أو من افراد حاشيته، ولا يخفى ما في هذا الامر من عظيم البلاء على البلاد والعباد.

وأما الشورى فقد اهملت من جهتين الجهة الأولى أن الحكام استبدوا بآرائهم ابتداءً ولم يأخذوا بمبدأ الشورى والجهة الثانية أن الحكام والسلاطين أحاطوا أنفسهم ببطانة سيئة منافقة لا تجد الا قول: (نعم أحسنت أيها الأمير أو الملك أطال الله في عمرك) وأمَّا كلمة (لا) فلا توجد في قاموس الوزراء والمستشارين، وهؤلاء طبقة من المنافقين والدجالين والمنتفعين بعطاءات الخلفاء والأمراء، ليس لهم همّ إلا إرضاءهم فيزينوا لهم باطلهم وظلمهم بشتى الوسائل والأساليب، فبدل أن يشيروا عليهم بتصحيح الاعوجاج الحاصل فيهم كانوا يشجعونهم على ما هم فيه من الضلال، فهي صفقة مشتركة بين الملوك والوزراء، الملوك يقربون طبقة الدجالين والمنافقين ويغدقون عليهم الأموال الطائلة، والوزراء يضفون على باطلهم الشرعية بشتى أنواع الاساليب والتضليل لعامّة الناس.

بينما نجد العلماء المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية كانوا لا يدخلون على السلطان مُذ بدأ الحكم وراثياً واستبد الحكام بآرائهم، بل جعلوا ذلك منقصة في حق العلماء الداخلين على السلطان، كي لا يدخلوا في حكم قوله ﷻ((وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ))[٣٤] والبلاء القادم من اهمال الشورى والبيعة الصحيحة لا يحتاج الى بيان ويكفي النظر الى تاريخ الأمة الإسلامية –بعد الخلافة الراشدة– والى حاضرها من جهة والى ما وصلت اليه الحضارة الغربية–عندما استخدموا نظام الشورى والانتخابات الحرة– من جهة اخرى.

المطلب الثاني : مظاهر الترف المادي والتفاوت الطبقي

وما أسهم إسهاماً كبيراً في الانهيار الحضاري للأمة الإسلامية هو الترف المادي والتفاوت الطبقي، وكلاهما يؤدي الى انحلال الأُمم وزوالها، قالﷻ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا))[٣٥] قال الطبري:(وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: قد يتوجه معناه إذا قرئ كذلك الى معنى اكثرنا مترفيها)[٣٦] وهذا يدل على أن الله ﷻ إذا اراد أن يهلك قرية أكثر مترفيها، نستدل من ذلك على أن من أسباب هلاك الأُمم وزوالها هو الترف المادي وهذا ما أصاب الأمة الإسلامية قبيل انهيارها عندما صار هم الولاة والحكام جمع الأموال الطائلة والاسراف على ملذات الحياة الدنيا، والتوسع في طلب شهواتها، (قال ابن فارس: التاء والراء والفاء كلمة واحدة, يقال رجل مترف: منعم, وترفه أهله: إذا نعموه بالطعام الطيب والشيء يخص به)[٣٧] (والمترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها)[٣٨] وعند قوله ﷻ: ((وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ))[٣٩]، والترف هو أحد عوامل الهدم الأساسية في الحضارات الإنسانية, فما انتشر الترف في أمة من الأمم إلا أسرعت نحو الهاوية, لذلك نجد القرآن الكريم لم يذكر لنا الترف بصيغة المدح وإنما بصيغة الذم، و(المترفون في كل أمة هم طبقة

الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أَيديهم عاثوا في الارض فساداً ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وارخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها، ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها)[٤٠] والأمة التي تسمح للمترفين بالكثرة والتسلط ولا تأخذ على أيديهم هي تؤدي بنفسها إلى الهلاك والانتحار، ومن أهم العوامل التي تؤدي الى ظهور الترف في الأمم هو عدم التزامها بشريعة الله ﷻ ولاسيما الاقتصادية منها، مما يؤدي الى ظهور التفاوت الطبقي بين افراد المجتمع، طبقة المترفين من الحكام وحاشيتهم والقواد والمستفيدين منهم والذين يمتلكون الأموال الطائلة والقصور الشاهقة، ويعمل في خدمتهم آلاف البشر بالسخرة أو بأجور ضئيلة لتنعم الطبقة المترفة بالرفاهية التي تزيد على حساب الطبقة الفقيرة المسحوقة والمغلوبة على أمرها التي تعاني من الجوع والحرمان، وليس لها حق في التعليم أو الرعاية الصحية فضلاً عن إبداء الرأي أو المشاركة في الامور السياسية، إن هذه الطبقية المقيتة لم تكن بين أفراد الأمة الإسلامية فحسب بل كانت بين مجموعات أو دول من الأمة الإسلامية فلو نظرنا الى خارطة العالم الإسلامي التي وضعها الاستعمار قبيل رحيله له نجد أن هناك دولاً غنية مع عدد سكاني قليل بينما نجد دولاً أخرى فقيرة مع عدد سكاني كبير[٤١] وهذه الطبقة بنوعيها تؤدي الى التخلف عن ركب الحضارات إذ ستتمتع أقلية من الناس أو من الدول بكل أنواع الرفاهية والتقدم المادي بينما ستحرم منها الاغلبية الساحقة لعدم تمكنها من الحصول على ما حصلت عليه تلك الأقليات، إن الأجيال التي فتحت عينها على أنواع الذل والتسخير للطبقة المترفة لاشك أنها ستتغير أفكارها وأخلاقها وعاداتها فهي من ناحية

الأفكار ستعتقد أنها خلقت لتكون ذليلة أو أن الإسلام هو الذي أعطى للطبقة المترفة هذا الحق ولاسيما إذا واجهتهم دعاية لا دينية أو ماسونية تريد تشويه صورة الإسلام في عيون الطبقات الفقيرة، وهي من ناحية الأخلاق ستستمرئ الذل والهوان ومن ثمَّ ستنحط أخلاقها – ولعل سقوط نصف حد الزنا عن المملوكين يؤيد هذا الأمر- وهي من ناحية العادات ستكون سلبية داخل المجتمع ولن تحاول أن تقدم شيئاً للمجتمع الإنساني الذي تعيش فيه وهي تعلم أن المردود المادي والمعنوي على العمل والإبداع سيكون لحساب تلك الطبقة المترفة فتكتفي بالحصول على لقمة العيش الذليلة لتسد بها رمقها، أما الأمور العظيمة والأعمال الكبيرة فهي من شأن المترفين لا من شأنهم هم وإذا أردنا أن ننظر الى ما يفعله الذل والهوان في الأمة الإسلامية فلننظر الى حال بني إسرائيل تحت حكم الفراعنة، ومما زاد الأمر سوءً في القرون الأخيرة وبعد احتلال البلاد الإسلامية من قبل الأعداء نجد أن أكثر هذه الدول المحتلة قد استوردت القوانين ولاسيما الاقتصادية منها سواءً منها الشرقية أو الغربية[٤٢] وكلاهما عاجز عن إيجاد الحلول الناجعة لاقتصاديات الأمة الإسلامية لما فيها من:

- مخالفة لأمر الله ﷻ إذا اعتمدت على الربا والمكوس وأنواع البيوع المحرمة،
- وهي لا تخدم غالبية الشعوب وإنما تخدم طبقة الأثرياء وأصحاب النفوذ.
- إلغاء نظام الزكاة الإسلامي أو تطبيقه تطبيقاً مشوهاً، مما زاد الأمة الإسلامية بؤساً الى بؤسها وجوعاً الى جوعها وخراباً الى خرابها حتى صار المسلم المعاصر ينظر الى الجاهلية المعاصرة في الغرب على أنها قمة سامقة تستحق منه الإعجاب والاتباع.

المطلب الثالث : عدم استغلال الأرض وإهمال الصناعة .

ومن أسباب الانهيار الحضاري عدم استغلال الأرض لمدة طويلة ولاسيما في القرون الاخيرة، واحتلال الغرب الدول الإسلامية حيث عمل المحتلون على تخريب النظام الزراعي في هذه الدول، لتبقى هذه المجتمعات ترزح تحت وطأة القوى الاستعمارية العالمية الكبيرة، فتستورد منها لقمة العيش مقابل الأموال الطائلة من

الموارد الاستراتيجية لهذه الدول، ويبقى هذا الانهيار الى الآن في الكثير من الدول الإسلامية إذ بقي النظام الاقتصادي مهملاً، أو لم ينهض نهضة جدية حقيقية لتحسين حال الزراعة في تلك البلاد[٤٣]، الذي يقرأ التقارير والكتب الجغرافية يعلم تماماً أن الأرض والمياه في أغلب البلدان الإسلامية لم تستغل بعد استغلالاً جيداً وما زال الكثير منها لم يزرع بعد مع صلاحيتها للزراعة ففي الوطن العربي مثلاً:(الأرض المزروعة فعلاً لا تزيد نسبتها عن ٤٠% فقط من الاراضي الصالحة للزراعة وتقدر الاراضي القابلة للإنتاج الزراعي ولم تستغل بعد بحوالي(١٢١ مليون هكتار)[٤٤] ومن الطبيعي إن إهمال الأرض وعدم استغلالها يؤدي أولاً الى حاجة تلك الشعوب الى الغذاء وتبديد الثروات الوطنية والاستراتيجية لاستيراد الغذاء زيادة على البطالة في تلك الدول، وثانيا فإن إهمال الأرض سيبقي تلك الدول في قبضة الدول المستعمرة، فمتى ما غضبت عليها منعت عنها لقمة العيش، وهذا يعني بقاء تلك الدول بحاجة الى الدول العظمى وما أمر الحصار الذي حصل على العراق عنا ببعيد.

وأمَّا الصناعة فليس حالها أفضل من الزراعة فقد أهملت إهمالاً كبيراً بعد الاحتلال الغربي لبلاد الإسلام إذ (كانت الصناعة في الوطن العربي حتى مطلع القرن التاسع عشر متأخرة الى درجة كبيرة وكانت مختصرة على تزويد السكان بما هو ضروري من المواد الغذائية والملابس والأدوات المنزلية وكانت المعدات المستعملة بسيطة يدار القسم الأعظم منها بواسطة الأيدي أو الاستعانة بالحيوانات ويرجع الفضل في تنشيطها والخروج بها من دائرة التخلف الى محمد علي الكبير الذي أدخل بعض المصانع الحديثة نسبياً الى مصر لإنتاج ما يحتاج اليه الجيش المصري من ملابس ومعدات لتسليحه وكانت مصر آنذاك هي القطر العربي الوحيد الذي بدأ في هذا التطور, غير أن هذه الصناعات بدأت تتخلف بعد زوال نفوذ محمد علي السياسي، وقد شجع هذا التخلف على تغلغل الدول الكبرى, واتخذت من الاقطار الإسلامية سوقاً رائجة لسلعتها مدعية بأن هذه الاقطار لا تتوفر فيها المقومات الضرورية للصناعة، وأنها أقطار زراعية فقط، ولقد أدى هذا التغلغل الصناعي الخارجي إلى اندثار بعض الصناعات المحلية التي وجدت نفسها عاجزة عن منافسة الصناعات الأجنبية)[٤٥] فبقيت هذه الدول مستهلكة لما ينتجه الغرب, بل قد تعد أحياناً من أكثر الدول استيراداً لما ينتجه الغرب من صناعات ولاسيما المكائن والمعدات والمصانع الحيوية التي تحتاجها البلاد، بشكل دائم فغالبية ما موجود في هذه البلدان من مكائن صناعية ووسائل نقل ومصانع حيوية كمصانع البتروكيماويات أو الأدوية أو الأقمشة أو

مصانع المواد الإنشائية بل حتى الصناعات الخفيفة نجدها مستوردة من الغرب في حين أن معظم المواد الأولية لهذه الصناعات متوفرة في البلاد الإسلامية, ولا تحتاج إلا الى العمل الجدي لجعلها محلية, وقد توجد في بعض البلدان الإسلامية بعض الصناعات كالخفيفة مثلاً، إلا أن هذه المؤسسات الصناعية صغيرة الحجم قياساً لم ينتجه الغرب أولاً ولحاجة المستهلك ثانياً، وهي كذلك أقل نوعاً من المنتوجات الغربية، مما جعل عامة الشعوب الإسلامية تفضل الصناعات الغربية[٤٦]، والأضرار التي نتجت عن إهمال الزراعة نتجت عن إهمال الصناعة من إهدار الأموال الطائلة[٤٧] وتضييع الكنوز المودعة في باطن الأرض, فبدل أن تستخدم هذه الكنوز من المواد الأولية والطاقات في الصناعة, تباع هذه المواد للدول الصناعية الكبرى وتعاد الينا بأثمان باهظة, وتؤدي في الوقت نفسه الى زيادة عدد البطالة في البلاد الإسلامية، ومن جهة أخرى الاعتماد على ما يصنعه الغرب من منتوجات صناعية ولاسيما الصناعات العسكرية، فكيف لأمة أن تستعيد حقها المغصوب وهي تشتري إطلاقة المدفع من عدوها فضلاً عن الطائرة والدبابة والأقمار الصناعية وغيرها من الأسلحة، لاشك أن أمة هذه حالها تبقى دائماً مذعنة للغرب ولن تتمكن من قول (لا) إلا إذا اعتمدت على نفسها في الزراعة والصناعة ولا سيما في الصناعة العسكرية المتطورة.

المطلب الرابع : إهمال السنن الإلهية.

ومن أسباب الانهيار الحضاري إهمال السنن الكونية وترك التفكير الجدي في أسباب انهيار الحضارات السابقة وأسباب إهلاك الله ﷻ للأمم الماضية[٤٨]، والأمة المنقطعة عن التاريخ لن تستطيع أن تصنع المستقبل، وقد بين لنا القرآن الكريم مصائر الأمم الماضية التي حادت عن منهج الله ﷻ وسننه في إهلاكها، وكذلك أهملت السنن الكونية في ربط الأسباب بالمسببات[٤٩] والأخذ بأسباب التقدم الحضاري والعمراني وترك العقلية التواكلية والخرافية المؤدية الى الخمول والجمود بحجة التوكل على الله ﷻ والإيمان بالقدر، وكذلك تركت الأمة التفكير في عالم الشهادة التي أمرنا الله ﷻ به لأداء دور الخلافة على الأرض وانطلقت للخوض في عالم الغيب، وهي تحاول الخوض فيما لا شأن لها به ولا طائل تحته إلا تفرقة الأمة الإسلامية وتشويش عقول العامة, كصفات الله ﷻ ورؤيته, وخلق القرآن, مما حاول به فلاسفة الأديان الأخرى الطعن في القرآن الكريم, وفي الدين الإسلامي على العموم، فتحول الأمر من الدفاع عن عقائد الإسلام الى حرب فكرية بين علماء الأمة الإسلامية، يقول محمد الغزالي:

(لو أن كل خلاف يقع بين الناس يشبه خلاف النحاة في إعراب كلمة, أو خلاف أهل الحساب في حل مسالة لكانت الخلافات طرافة تستحق المشاهدة أو مسلاة تثير الإعجاب والتأمل، ذلك أن اختلاف العقول في تقويم حقيقة أو تقدير حكم, لا خطر منه سواء انتهى بحل حاسم أو بقي معلقاً الى قيام الساعة، إنما يستفحل الخلاف وتتسع هوته إذا علق الهوى بأحد اطرافه, وترتب على رجحان إحدى الكفتين نفع أو ضرر، هنا يحتدم الصراع ويغتلي الشقاق, ويكون ظاهره الخصومة بين رأيين, والحقيقة أنها الخصومة بين أثرة وأثرة، وغالباً ما يضيع الحق, أو يلوث في حمأة هذا الشقاق، والخلاف بين أصحاب الأديان, أو بين أهل الدين الواحد, قد يأخذ هذه السبيل الجائرة فينتهي بالفرق المتنازعة كلها الى شر مستطير...)[٥٠] ولم يكن ضمن طاقة العقل الانساني القدرة على اختراق عالم الغيب وليس له أدوات ذلك الاختراق(ولذلك نجد أن العقل الانساني عبر التاريخ كلما حمل نفسه في تفصيلات قضايا عالم الغيب-ما وراء المادة- أكثر مما يتحمل ظلَّ وتاه وكثر اضطرابه ولم يصل قط الى اليقين)[٥١] ومن ثمَّ أن انتقال تفكير الأمة من عالم الشهادة الى عالم الغيب يعني السلبية والخوض في علوم لا يبنى عليها عمل، فصارت الدراسات والكتب تؤدي أغراض الترف الفكري فتأخرت الأمة الإسلامية من جراء الجدل العقيم والمراء الذاتي والتعصب المذهبي وتفرقت الأمة الى مذاهب مختلفة متناحرة فكرياً وثقافياً، (ولو تجرد كل ذي رأي من الإضافات النفسية والدنيوية التي تنضم الى الخلاف العلمي لأصبح الخلاف مسلاة لا مأساة, ومطرحاً لتفاوت الافهام لا مسرحاً لتهارش الآراء)[٥٢] وترك الأمة جدية التعليم وبقي مرتكزاً على موضوعات خاصة تثير المذهبية والطائفية، وهذا كله نلمحه في القرون الماضية والسابقة لسقوط الخلافة الإسلامية، أما بعد سقوط الخلافة الإسلامية واحتلال الأعداء لغالبية الدول الإسلامية, فإننا نجد زيادة على ما مضى ضعفاً كبيراً في أداء المؤسسات التربوية لواجباتها كماً ونوعاً، وأول هذه المؤسسات التربوية هي الأسرة التي ينشأ فيها الطفل ويتعلم مبادئ الدين من أبويه بصورة مبسطة، وكما قال الرسول الاعظم ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٥٣] نجد أن هذه المؤسسة أهملت أثرها للجهل المطبق في الكثير من الأحيان على الأبوين أولاً, ولانتشار البدع والخرافات وعبادة القبور والفهم الخاطئ لهذا الدين ثانياً, ولانشغال الأبوين لإيجاد لقمة العيش ثالثاً, فكان الأمر عند الأبوين إما بترك تعليم الأبناء أصلاً, أو تعليمهم الإسلام مشوهاً لعدم فهمهم له، وما ينطبق على مبادئ الدين ينطبق على العبادات كالصلاة وغيرها، خلافاً لأمر الرسول ﷺ

بتعليم الابناء على الصلاة، إذ يقول: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع)[٥٤] وإذا سألنا عدداً من كبار السن الذين كانوا يرتادون المساجد قبل خمسين سنة مثلاً عن عدد الشباب والصبيان في المساجد سيكون جوابهم أن المساجد كانت تخلوا من الشباب والصبيان أصلاً، بل وصل الأمر في بعض المساجد أن عدد المصلين في أغلب الأوقات لا يتجاوز عدد اصابع اليد[٥٥] وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى تقصير الأسرة في أداء واجباتها نحو أبنائها عقائدياً ودينياً، وثاني هذه المؤسسات هي المدارس والجامعات، وهذه لم يكن حالها أفضل من سابقتها إذ كان التأثير الغربي والعلماني واضحاً عليها فعندما احتلت الدول الغربية بلاد الإسلام فتحوا المدارس المتنوعة لاستقبال الطلبة المسلمين لتعليمهم بعض العلوم مع اللغات الأجنبية لتدخل منها الثقافات الأوروبية الى العقلية المسلمة وتحدث التغيير المطلوب للتملص من الشخصية الإسلامية والانجراف الاعمى وراء التقليد المحض لواقع الحياة الغربية المعاصرة، ولاسيما عندما يرى الطلبة مدى التقدم الحضاري الذي يعيشه الغرب قياساً بالانهيار الحضاري الذي يعيشونه هم[٥٦] زيادة على أن الأمم المغلوبة تنظر إلى الأمم الغالبة على أنها أقوى وأفضل منها، ولقد تحولت المدارس التي فتحها الاستعمار الغربي بعد عشرات السنين الى جامعات تبشيرية ضخمة أنتجت جيلاً من المدرسين والأساتذة الجامعيين الذين تثقفوا ثقافة غربية لا تمت الى الإسلام بصلة، فانسلخوا من دينهم ولم يبق لهم من الإسلام إلا الاسم، وأما التعليم الديني فهو يقوم على مخلفات بالية أو قشور من الفقه الإسلامي واللغة العربية، ويحرم من دراسة العلوم الحديثة أو يأخذ منها أنصبة تافهة، ويكتفي في هذا التعليم المحدود بحفظ الفاظ القرآن كلاً أو بعضا منً دون الغوص إلى معانيه وبدراسة العلوم الشرعية واللغوية على نحو سقيم[٥٧] وكذلك استقبلت الجامعات الغربية الكثير من الطلبة المسلمين للدراسة فعادوا معجبين بعقلية وثقافة الغرب وما فيها من قيم ومبادئ، إذ لم يفرقوا بين علوم الغرب وبين ثقافته وأخلاقه، فكانوا مع مرور الزمن الطبقة المثقفة، وهي صاحبة التأثير في المجتمع ولاسيما الهيئات التدريسية منها التي أضفت ثقافتها وعلمانيتها على أجيال الأمة من التدريس ومن وضع المناهج[٥٨] وثالث هذه المؤسسات التربوية هي الإعلام وهي الأوسع انتشاراً والأعمق تأثيراً في كل طبقات المجتمع الجاهلة والمتعلمة صغاراً وكبارا، وقد أحدثت هذه المؤسسات تأثيراً كبيراً في البلاد الإسلامية من التوجيه المباشر ونقل الثقافة الغربية الى أبناء الأمة الإسلامية، ولقلة خبرات الدول الإسلامية

في مجال الإعلام أمام خبرات الغرب كان النقل عشوائياً مما ينتجه الغرب العلماني من الأفلام السينمائية والبرامج التلفزيونية حتى غدت هذه الأدوات أداة تخريب للأخلاق والمبادئ بدل أن تكون أداة بناء لهما[٥٩] زيادة على دور النشر العلمانية والإباحية من صحيفة ومجلة وقصة وموقع الكتروني وما الى ذلك، التي بمجموعها تؤدي الى نشر الثقافة الغربية العلمانية في أبناء الأمة الإسلامية فنشأ جيل منسلخ من عقيدته لا يفكر إلا في توافه الأمور، وأننا نجد هذا واضحاً في المؤسسات الإعلامية أنها لم تكتف بنشر الإباحية وإنما وجهت أنظار العامة الى توافه الأمور فمجدت المطربين والممثلين ولاعبي كرة القدم ليكونوا قدوة للشباب المسلم، ومازلنا نسمع عن الأسعار الخيالية لهؤلاء ومدخولاتهم السنوية الكبيرة، فكان لها الأثر الكبير في الانهيار الحضاري الذي تعاني منه امتنا اليوم.

المطلب الخامس : المذهبية والطائفية.

ومن أسباب الانهيار الحضاري لأمة الإسلام المذهبية والطائفية[٦٠] والجمود العقلي وسد باب الاجتهاد[٦١] والفهم الخاطئ لهذا الدين، وكل هذه الأمور قد أثرت بقدر وأسهمت بدرجات متفاوتة في الانهيار الحضاري الذي حصل لأمة الإسلام، وهذه الأمور كسابقتها لم تحصل مرة واحدة، وإنما حصلت بالتدريج فالفقهاء المسلمون لم يتعصبوا لمذاهبهم وإنما هي اجتهاداتهم التي توصلوا اليها من الادلة التفصيلية المستنبطة من الأصول الفقهية، وكانت تعبر عن قمة شامخة في سماء الحضارات الإنسانية إذ إن اختلاف الفقهاء كان اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد حيث عبر عن سعة ومرونة الأحكام الإسلامية وملائمتها لكل زمان ومكان، وقد انتجوا لنا تراثاً ضخماً لم يشهد التاريخ له مثيل، إلا أن الأمر تغير بعد عصر الفقهاء المجتهدين، إذ بدأ اتباع كل مجتهد من المجتهدين يتعصبون لرأي إمامهم فبدل أن يتسع أفقهم لسماع الآراء الأخرى والنظر في أدلتها التفصيلية صاروا يؤيدون آراءه بكل ما يستطيعون حتى لو اقتضى الأمر في بعض الأحيان أن يستعينوا بأحاديث ضعيفة أو تأويلات قرآنية بعيدة وهدفهم في هذا هو نصرة مذهبهم، وكأن أقوال إمامهم مقدسة لا يجوز التغيير فيها أو التبديل، وتحول الأمر من دراسة فقهية متجردة تبحث عن الحكم مع الدليل الشرعي الى مراء ذاتي وترف فكري في حين أن الفقهاء الأوائل ما كان مقصدهم في آرائهم إلا إيجاد الحلول لمشاكل وجدت في زمانهم، ولم يطلبوا من أحد أن يتعصب لمذهبهم أو لرأيهم، والأصل أن يتعصبوا للحق الذي يجدونه.

وأمَّا الطائفية فقد تحول الأمر من خلاف سياسي في قضية الخلافة وأحقيتها الى افتراق مذهبي وأصولي وعقائدي وما الى ذلك حيث (كانت الأمة الإسلامية في عهد الرسول الأعظم ﷺ وبعد وفاته وفي العقود الأولى من تاريخنا تؤمن بنظام الشورى

وحق الأمة في اختيار ولاتها، وكان أهل البيت في طليعة المدافعين عن هذا الإيمان، والعاملين به وعندما أُصيبت الأمة بتسلط الحكام الأمويين بالقوة وتداولهم للسلطة بالوراثة وإلغائهم لنظام الشورى، وتأثر بعض الشيعة الموالين لأهل البيت بما حدث فقالوا رداً على ذلك: بأحقية أهل البيت بالخلافة من الأمويين، وضرورة تداولها في أعقابهم، ولكن هذه النظرية لم تكن نظرية أهل البيت أنفسهم ولا نظرية الشيعة في القرن الأول الهجري)[٦٢] وأما في العلوم الإسلامية الأخرى فقد توقف العقل المسلم عموماً عن الإبداع فحصل الجمود والخمود للأمة، وبقيت تهضم ما كتبه السابقون على شكل شروح وحواشي وشروح الحواشي أو حواشي الحواشي وما الى ذلك، وتبع هذا الأمر تقديس الرجال وعدم التفكير أصلاً في المراجعة أو التقويم، وكأن الذي قاله الأولون وحي معصوم فقد خلطوا الفكر الإنساني الناتج عن جهود هؤلاء المفكرين بالوحي المعصوم، ومما زاد الأمر سوءاً هو سد باب الاجتهاد والتوقف عن إيجاد الحلول للقضايا المستجدة، ومع أن المجتمع الإنساني تزداد مطالبه بإيجاد الحلول لقضاياه المستجدة بينما الإبداع والاجتهاد متوقف، لذلك بدأ الناس يتحولون من البحث في شريعة الإسلام إلى البحث في القوانين الغربية لحل مشاكلهم المستجدة، ومن هنا حصل شعور لدى بعض الناس ممن لا يفهمون الإسلام فهماً جيداً ومن المثقفين الذين تثقفوا بالثقافة الغربية، أن الإسلام لم يعد يصلح للعصر الحاضر وإنما كان صالحاً لما مضى من القرون، لقد تغير الفهم العام للإسلام وأولوياته في عصر الخمود والجمود وتقديس الموجود تغييراً كبيراً من حيث التقديم والتأخير ومن حيث إعطاء الأهمية، فقد يقدمون امراً حقه التـأخير أو يأخرون أمراً حقه التقديم، أو أنهم يولون أمراً أهمية كبيرة بينما هو أقل مما يتصورون، أو العكس ، فقد يقدمون النافلة على الواجب أو المهم على الأهم وهكذا، فمثلاً نجد أن القرآن الكريم حث على الجهاد وعلى الإنفاق لنصرة هذا الدين، نجد أن هناك من قدم عليه بعض النوافل أو أموراً من الواجبات لا ترقى الى هذا الواجب فكان عليهم أن يهتموا بما اهتم به القرآن الكريم.

إذ إن(من المعايير التي ينبغي الرجوع اليها في بيان ما هو أحق وأولى بالرعاية والتقديم على غيره: أن نعنى بالأمر على قدر ما عني به القرآن الكريم، فما اهتم به القرآن كل الاهتمام وكرره في سوره وآياته، وأكدَهُ في أمره ونهيه ووعده ووعيده، يجب أن تكون له الأولوية والتقديم والعناية في تفكيرنا وفي سلوكنا وفي تقويمنا وتقديرنا)[٦٣].

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة السريعة بين اسباب الانهيار الحضاري نستنتج جملة أمور، من أهمها:

١- أن الانهيار الحضاري لم يحص دفعة واحدة، وغنما سار مع نمو وتطور الحضارة الاسلامية، وبدأت عوامل الضعف والانهيار تكبر تدريجيا إلى أن وصلت الأمة إلى ما وصلت إليه، وهذه سنة الله ﷻ في الأمم والدول.

٢- ان أسباب الانهيار منها ما هو داخلي وما هو خارجي والأصل هو الاسباب الداخلية، فمتى ما كانت الأمة متماسكة قوية فلن يقدر عليها الاعداء مهما كانت قوتهم، وإن حصلت للأمة بعض الهزائم فلن تستمر طويلا فسرعان ما يقيض الله ﷻ لها من يعيدها إلى جادة الصواب، أما ما كان من ضعف للأسباب الداخلية فلن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وأما التوصيات التي أردت تسجيلها بعد هذه الورقات فهي:

١- على الأمة أن تراجع مقومات بقائها بين الحين والآخر لتقع على مواطن القوة والضعف، وهذه المراجعة يقوم بها مفكرو الأمة وقادتها.

٢- النظر في سنن الله ﷻ في بقاء الأمم وزوالها لنتجنب الوقوع بما وقعت به الأمم السابقة، فسنن الله ﷻ ثابتة لا تتغير.

٣- إن بدايات الانحراف دائما تكون صغيرة ثم تكبر شيئا فشيئاً، وكما يقال أن معظم النار من مستصغر الشرر، فالانحراف عن المبادئ الاسلامية مهما كان صغيرا في بدايته فإنه سيكون انحرافا خطيرا فيما بعد.

٤- إن من أهم اسباب الانهيار في وقتنا الحالي، ولا سيما في بلدنا العزيز، هو التعصب المذهبي والتخندق الطائفي، والذي دخل مفاصل الدولة جميعها صغيرها وكبيرها، فكل إدارة الدولة اليوم مرهونة بالمحاصصة الطائفية، ولا شك أنها من أهم عوامل تخلف الدولة اليوم.

Conclusion:

After this review of the reasons of the collapse of civilization, we conclude some important points: -

1. The collapse of civilization has not happened suddenly, but it went alongside with the development and growth of Islamic civilization. The factors of weakness and collapse started to gradually grow until the Islamic nation reached its status now. And this is Allah's rules for countries and nations.
2. There are inner and outer reasons for the collapse of civilization. And the main reasons are the inner ones because whenever the nation is strong and integrate, it is difficult for its enemies to defeat it no matter how strong the enemies are. And even if some tenuous setbacks happened in the nation, they would not last for long and Allah would provide someone who could save the nation and bring it back to the right path. As for the inner reasons, as the verse in Quran says: " Allah does not change what is in a nation unless they change what is in themselves"

The recommendations that I wanted to mention in this paper are:

1. The Islamic nation should review the factors for its survival from time to time to figure out the strong and weak points. And this review must be done by scholars and leaders of the Islamic nation.
2. Carefully studying Allah's rules regarding the progression and regression of nations, to avoid making same mistakes the previous nations had already done, because Allah's rules are constant and unchanged.

3. The beginnings of deviation always start small, then it gradually grows, and as the saying goes: "fire ignites from small sparks", so no matter how small the deviation from the Islamic principles is at the beginning, soon later, it will be a very critical one.
4. One important factor for the collapse nowadays, especially in our beloved country, is the religious and sectarian fanaticism which has entered all the facilities of the country whether large or small. Therefore, nowadays all the facilities of the country are subject to sectarian quotas. And there's no doubt that this is one of the main factors for the regression of the country toda

الهوامش :

[١]– ينظر: رؤية إسلامية لأحوِال العالم المعاصر، محمد قطب، ص ١٧٨، ط١، ١٩٩١ م، دار الوطن، الرياض.

[٢]- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ج١، ص٢٢٦ : ت محمود خاطر،ط١٤١٥-١٩٩٥، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

[٣]- لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص١٩٠٩، ت عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

[٤]- ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) باب الهاء، ج٥، ص٢٦٨، ط٣، ١٤١٤ه، دار صادر – بيروت.

[٥]- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه:جـ ١ - ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، ط١، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

[٦]- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج١، ص١٨٠ (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

[٧]- ينظر : أزمة المثقفين تجاه الإسلام، د. محسن عبد الحميد، ص١١، ط٣، ١٩٩٨م، مطبعة وزارة التربية.

[٨]- ينظر: مجلة المجتمع، ص٥، تصدر عن جمعية الاصلاح الاجتماعي، الكويت، العدد ١٣٦٥، السنة ٣٠.

[٩]- ينظر: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي، ص٥٣، ط٢، ١٩٦٩م ، دار الفكر، لبنان.

[١٠]- ينظر: الإسلام حضارة الغد، د. يوسف القرضاوي، ص٣٠ وما بعدها، ط ٣ ، ١٩٨٨ م، المكتب الإسلامي، عمان.

[١١] -كما في تصريح وزير التربية التركي في ٢٠٠٠/٣/٢ بمنع المدرسات من الحجاب وطرد٣٠ مدرسة من الوظيفة باعتبارهن متطرفات، نقلاً عن صوت لندن في التاريخ نفسه بعد إعلان القرار التركي بمنع المدرسات من ارتداء الحجاب.

[١٢]- واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص٢٥٩، ط٢، ١٩٨٧م، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة، السعودية.
[١٣]- ينظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ص٩، ط٧، ١٩٦٤م، دار الكتب الحديثة، وينظر: النظم الإسلامية، منير البياتي وفاضل شاكر النعيمي، ص ٧٨ وما بعدها، ط ١، ١٩٨٧م، مطبعة التعليم العالي، جامعة بغداد.
[١٤]- ينظر: وعد كيسنجر والأهداف الأمريكية في الخليج، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ص٣٨، ط١، ١٩٩١م، مؤسسة الكتاب الإسلامي، دلس، الولايات المتحدة.
[١٥] - ظلام من الغرب، محمد الغزالي، ص٤٨، ط١، ١٩٩٧ م، دار القلم، دمشق.
[١٦] ينظر: مجلة المجتمع، العدد ١٣٦٥ ، ص ١٦.
[١٧]- ظلام من الغرب، ص١٣٤.
[١٨]- ينظر: مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا ،ج١،ص٢٥٦، ط١، ٢٠٠٦م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
[١٩]- ينظر: ظلام من الغرب، ص٢٩٩.
[٢٠] - كما حصل في حرب الخليج من الاستعانة بالغرب الصليبي على أبناء جنسهم وملتهم ، ينظر وعد كيسنجر والأهداف الأمريكية في الخليج، ص٨٩.
[٢١]- ينظر: مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا، ص ١٥٧، ط١، ٢٠٠٦م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
[٢٢]- ظلام من الغرب، ص١٤٧.
[٢٣]- ينظر في ظلال القرآن ،ج٢، ص٨٨٩.
[٢٤]-المصدر نفسه ،ج٢، ص٨٩٠.
[٢٥]- المصدر نفسه، ج٢، ص٨٩١
[٢٦]- ينظر: على سبيل المثال العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، الملك الأشرف الغساني، ت ٣٠٨ هـ ـ ص١٩١،١٨٣،١٧٣،١٩٥، تحقيق، شاكر محمود عبد المنعم، دار البنان، بغداد.
[٢٧]- ازمة المثقفين تجاه الإسلام ، ص١٩.
[٢٨]- ينظر : المال والحكم في الإسلام، عبد القادرة عودة، ص ٧٥، ط ٢، ١٩٦٤م، دار النذير، بغداد.
[٢٩]- ينظر: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، د. فهمي جدعان، ص٢٦٢، ط٣، ١٩٨٨ ، دار الشروق.
[٣٠]- ينظر: على سبيل المثال العسجد المسبوك، ص ٤٠٣- ٤٠٦.
[٣١]- ينظر: ظلام من الغرب، ص٣٠٣.
[٣٢]- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري(١٩٤ – ٢٥٦ هـ)كتاب بدء الوحي، باب من لم يسأل الامارة، ج٩، ص٧٩، رقم الحديث٧١٤٧، ط١، ١٤٠٧-١٩٨٧، دار الشعب – القاهرة.
[٣٣]- ينظر: منهاج القرآن في تطوير المجتمع، رسالة دكتوراه، محمد صالح عطية، جامعة بغداد، ص ٣٥٩.
[٣٤]- سورة هود:١١٣، وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت٣١٠هـ، ج١٢، ص ،٢٦، ط ٢، ١٩٥٤ م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

[٣٥]- سورة الإسراء: الآية١٦
[٣٦]- تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٥، ص٥٥ وينظر: التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، ج٢٠، ص١٧٥، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
[٣٧]- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ج١، ص٣٤٥ت عبد السلام محمد هارون، ط ١٣٩٩ه ١٩٧٩م، دار الفكر.
[٣٨]- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (٦٠٦ه) ج١، ص١٨٧،
ت طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.
[٣٩]- هود: ١١٦.
[٤٠]- في ظلال القرآن ، ج ٤، ص ٢٢١٧ .
[٤١]- ينظر : جغرافية الوطن العربي ، د . خطاب صكار العاني والدكتور ابراهيم عبد الجبار العاني ، ص٢٠٢ و ص٣٠٩ ، طبعة ٢، ١٩٩٩ ، جامعة بغداد.
[٤٢]- ينظر : ظلام من الغرب ، ص ١٥٣ وما بعدها.
[٤٣]- ينظر : احتياجات العصر الحضارية ، الدكتور عبد الرحمن محمد عبد الله ، ص ١٩ ، ط١ ، ١٩٨٨ ، دار عمار ، بيروت ، عمان
[٤٤]- جغرافية الوطن العربي، خطاب صكار العاني، و د. إبراهيم عبد الجبار المشهداني، ص٢١٦، ط٢، ١٩٩٩، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.
[٤٥] - جغرافية الوطن العربي، ص٣٧١.
[٤٦]- ينظر: المصدر نفسه، ص٣٧٢.
[٤٧]- فعلى سبيل المثال الناتج المحلي الاجمالي لجميع الأقطار العربية من النفط يقترب من (٤١٢)الف مليون دولار لعام ١٩٨٢م، ينظر المصدر نفسه، ص٢٠٤.
[٤٨]- ينظر: السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، ص١٦، ط ٣، ١٩٩٤ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
[٤٩]- ينظر: المصدر نفسه، ص٢٤ ومابعدها.
[٥٠]- ظلام من الغرب، ص٢٧٧.
[٥١]- الفكر الإسلامي تقويمه وتجديده، د. محسن عبد الحميد، ص٨، ط١، ١٩٧٨م، دار الأنبار، بغداد.
[٥٢]- ظلام من الغرب، ص٢٨٩.
[٥٣]- صحيح البخاري، ج١، ص٤٦٥، رقم الحديث ١٣١٩.
[٥٤]- رواه أبو داود ، رقم الحديث ٤٩٥، وإسناده حسن كما قال عنه الإمام النووي في رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ص١٧١، ط ٧، ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة.
[٥٥] - علمت هذا من سؤالي لعدد من كبار السن.
[٥٦]- ينظر: الاستشراق، إدوارد سعيد، ص٣١٩، ترجمة كمال أبو ديب، ط ١، ١٩٨١ م، مؤسسة الأبحاث العربية.
[٥٧]- ينظر: ظلام من الغرب، ص١٤٤.
[٥٨]- ينظر: أزمة المثقفين تجاه الإسلام، ص٢٧،٩١.
[٥٩]- ينظر: ظلام من الغرب ، ص ١٣٤، ٢١٣ .
[٦٠]- ينظر: ظلام من الغرب، ص ٢٧٨.

[٦١]- ينظر : المصدر نفسه: ص٤٥.
[٦٢] - تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه، أحمد الكاتب، ص١١ ، طبعة١، ١٩٩٧، دار الشورى، لندن.
[٦٣]- فقه الأولويات، د. يوسف القرضاوي، ص٩٥، ط١، ١٩٩٥م، مكتبة وهبة، القاهرة.

المصادر والمراجع:

١- احتياجات العصر الحضارية: الدكتور عبد الرحمن محمد عبد الله، ط١، ١٩٨٨م، دار عمار، بيروت، عمان.
٢- أزمة المثقفين تجاه الإسلام، د. محسن عبد الحميد، ط٣، ١٩٩٨م، مطبعة وزارة التربية.
٣- الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، ط ١، ١٩٨١ م، مؤسسة الأبحاث العربية.
٤- أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، د. فهمي جدعان، ط٣، ١٩٨٨م ، دار الشروق.
٥- الإسلام حضارة الغد، د. يوسف القرضاوي، ط ٣، ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي، عمان.
٦- تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه، احمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، دار الشورى، لندن.
٧- تفسير الرازي، التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨- : تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت٣١٠هـ، ط ٢، ١٩٥٤ م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
٩- جغرافية الوطن العربي، د. خطاب صكار العاني والدكتور إبراهيم عبد الجبار العاني، ط٢، ١٩٩٩م ، جامعة بغداد.
١٠- خلق المسلم، محمد الغزالي، ط٧، ١٩٦٤م، دار الكتب الحديثة.
١١- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، ط١، ١٩٩١م، دار الوطن، الرياض.
١٢- سنن أبي داود، أبو داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٧، ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة.
١٣- السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، ط ٣، ١٩٩٤ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٤- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري(١٩٤ – ٢٥٦هـ) تحقيق مصطفى ديب البغا، ط٣، ١٩٨٧م، دار ابن كثير، بيروت.
١٥- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي، ط٢، ١٩٦٩م ، دار الفكر، لبنان.
١٦- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، ط١،١٩٩٧ م، دار القلم، دمشق.
١٧- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، الملك الأشرف الغساني، ت٣٠٨هـ، تحقيق، شاكر محمود عبد المنعم، دار البنان، بغداد.
١٨- فقه الأولويات، د. يوسف القرضاوي، ط١، ١٩٩٥م، مكتبة وهبة، القاهرة.
١٩- الفكر الإسلامي تقويمه وتجديده، د. محسن عبد الحميد، ط١، ١٩٧٨م، دار الأنبار، بغداد.
٢٠- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (١٩٠٦م-١٩٦٦م) كاتب وشاعر وأديب ومنظر إسلامي مصري، ط١٤٢٣،٣٢هـ ٢٠٠٣م، دار الشروق، القاهرة، بيروت.
٢١- المال والحكم في الإسلام، عبد القادرة عودة، ط ٢، ١٩٦٤م، دار النذير، بغداد.
٢٢- : مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا ، ط١، ٢٠٠٦م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

٢٣- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت عبد السلام محمد هارون، ط ١٣٩٩ه ١٩٧٩م، دار الفكر.
٢٤- النظم الإسلامية، منير البياتي وفاضل شاكر النعيمي، ط ١، ١٩٨٧م، مطبعة التعليم العالي، جامعة بغداد.
٢٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (٦٠٦ه) ت طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.
٢٦- واقعنا المعاصر، محمد قطب، ط٢، ١٩٨٧م، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة، السعودية.
٢٧- وعد كيسنجر والأهداف الامريكية في الخليج، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ط١، ١٩٩١م، مؤسسة الكتاب الإسلامي، دلس، الولايات المتحدة.

الرسائل والأطاريح:

١- منهاج القرآن في تطوير المجتمع، أطروحة دكتوراه، محمد صالح عطية، جامعة بغداد.

المجلات والدوريات:

١- مجلة المجتمع، تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، العدد ١٣٦٥، السنة٣٠.

References:

1- Abdallah, Abderrahman M. (1988), Ihtiajat Al-Asr Al-Hadariya. Beirut & Amman: Dar Ammar.

2- Abdulhamid, Muhsin,(1998), Azmat Almuthaqqafin tijah Al-Islam (3rd ed.) Publish house of the Ministry of Education.

3- Saed, Eduard. (1981). Al-Istishraq. (Kamal Abu Adib trans.) Arab Research Institute.

4- Jad'an, Fahmi. (1988). Ausus Al-Taqqadum inda Mufakkary Al-Islam fi Al-Alam Alaraby Al-hadith (3rd ed.) Dar Al-shuruq.

5- Al-Qardawi, Yusuf. (1988). Al-Islam Hadarat Al-Ghad (3rd ed.) Amman: Al-Maktab Al-Islami.

6- Al-Katib, Ahmad. (1997). Tatawur Al-fikr Al-siasy Alshi'y min Al-Shura Ila Wilayat Al-Faqih. London: Dar Al-Shura.

7- Al-Razi, Fakhreddin. Tafsir Al-Razi (Al-Tafsir Alkabir) (3rd ed.) Beirut: Dar Ihaa' Alturath Alarabi.

8- Al-Tabari, Muhamad J. (1954). Tafsir Al-Tabari (Jami' Albayan an Tawil Ai Al-Quran) (2nd ed.) Egypt: Mustafa Albabi Alhalabi Publication.

9- Al-Ani Khattab S., & Al-Ani Ibrahim A. (1999). Geography of the Arab World (2nd ed.). University of Baghdad.

10- Al-Ghazali, Muhammad. (1964). Khuluq Almuslim (7th ed.). Dar Al-Kutub Alhadeethah.

11- Muhamad Qutub. (1991). Ru'ya Islamiya li-Ahwal al-Alam al-Mu'asir. Riyadh: Dar Alwatan.

12- Abu Daood. (1985). Sunan Abi Dawood (7th ed.). (Shuaib Al-Arnaout Ed.) Mu'assasat Alrisalah.

13- Zidan, Abdelkarim. (1994). Al-sunan Al-Ilahiyah (3rd ed.). Beirut: Mu'assasat Alrisalah.

14- Al-Bukhari, Muhamad I. (1987). Sahih Al-bukhari. (Mustafa D. A. Ed.) Beirut: Dar Ibn Kathir.

15- Bin Nabi, Malik. (1969). Al-siraa' Al-Fikri fi Albilad Almusta'marah (2nd ed.) Beirut: Dar Al-fikr.

16- Al-Ghazali, Muhammad. (1997). Dhalam min Algharb. Damascus: Dar Alqalam.

17- Al-Ghassani, A. Alasjad Almasbuk wa Aljawhar Almahkuk fi tabaqat Al-khulafaa' wa Almiluk.(S. M. Abdelmunim Ed.) Baghdad: Dar Albanan.

18- Al-Qardhawi, Yusuf. (1995). Fiqh Al-Awlawiyat. Cairo: Wahbah Library.

19- Abdelhamid, Muhsin. (1978). Al-fikr Al-Islami Taqweemahu wa Tajdidah. Baghdad: Dar Al-Anbar.

20- Al-Shadhili, Qutub I. (2003). Fi Dilal Al-Quran. Cairo, Beirut: Dar Alshuruq.

21- Auda, Abdelqadir. (1964). Almal wa Alhikam fi Al-Islam (2nd ed.) Baghdad: Dar Alnadheer.

22- Al-Bannah, Hasan. (2006). Majmu'at Rasa'il Al-Imam Al-Shaheed Hasan Albannah. Cairo: Dar Al-nashir wa Al-Tawzee' Al-Islamiyah.

23- Zakariya, Ahmed F. (1979). Mu'jam Maqayees Allughah (A. M. Harun. Ed.) Dar Alfikr.

24- Al-Baiyati, M., & Al-Nu'aimi F. Sh. (1987). Al-Nudhum Al-Islamiya. University of Baghdad: Publication of Higher Education.

25- Al-Jazri, A. M. (1979). Al-Nihaya fi Gharib Al-Hadith wa Al-Athar. (T. A. Al-Zawi, & M. M. Al-Tannahi Eds.) Beirut: Al-Maktabah Al-Elmiyah.

26- Qutub, Muhammad. (1987). Waqi'una Al-Mu'asir (2nd ed.) Jaddah, KSA: Al-Madinah Institute for Press, Printing and Publication.

27- Al-Hawalli, Sefer A. (1991). Wa'ad Kesenger wa Al-Ahdaf Al-Amrikiya fi Al-Khaleej. Dallas, USA: Mussasat Al-Kitab Al-Islami.

Theesis & Researches:

1- Attiya, Muhammad. Minhaj Al-Quran fi Tatweer Al-Mujtama' (Ph.d Thesis). University of Baghdad.

journals and Newspapers:

1- Al-Islah Al-Idgtima'e. (30) Mujallat Al-Mujtama'a. (1365). Kuwait.